صور في الألف الأول قبل الميلاد وعلاقاتها مع بلاد الرافدين

د. لينا محسن*

الملخص:

بدأ الآشوريون أطماعهم بالتوسع غربًا في محاولة منهم للسيطرة على سورية وصولًا إلى الساحل السوري والمنافذ التجارية البحرية، وكانت صور واحدة من هذه الممالك الساحلية التي طالتها الجيوش الآشورية؛ لموقعها الجغرافي المتميز على ساحل البحر المتوسط.

وبدأت أولى الحملات الآشورية زمن الدولة الآشورية الوسطى، وتتالت بعدها الحملات زمن الدولة الآشورية الحديثة، وتكاد لا تخلو سجلات الملوك الآشوريين الخاصة بملك من ملوكها إلا ويذكر قيامه بعدة حملات إلى الساحل السوري، ومن ضمنها مدينة صور التي قاومت الاحتلال، وحاولت رد الأذى بدفع المال مقابل السلام لتحافظ على استقرار تجارتها وأمنها.

ورث الكلدانيون مناطق النفوذ الآشورية، فدخلت سورية ومن ضمنها صور تحت سيطرتهم، ودخلوا في صراع للسيطرة على مناطق النفوذ في سورية، وجاء الاحتلال الفارسي، ووقفت المدن السورية إلى جانبهم ضد اليونانيين في الحرب الدائرة بينهما.

وقاومت صور الاحتلال المقدوني، لكنها سقطت بعد اعتماد الحيلة لإخضاعها، وبسقوط صور بيد الإسكندر 332 ق.م ينتهي دور هذه المملكة إلى الأبد سياسيًا واقتصاديًا.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

Soor in the first thousand th B.C and its relation to Mesopotamia.

Dr. Lina Mohsen[**]

Abstract

Assyrians began their cupidity by expanding west in attempt to occupy Syria until the Syrian Coast, and the naval trade accesses. The Assyrian's Army wanted to control Syria because of its special geographic site on the coast of Mediterranean sea.

The first Assyrian's campaigns in the mid of Assyriancountry which lasted in the modern Assyrian country, hardly saw any of Assyrian kings records that didn't mention any of its kings and their part in the campaigns in the Syrian Coast as Soor City, that faced the occupation and tried to push the harm by paying money instead of peace to keep its trade and safety stable.

Keldans inherited the Assyrian's authorities, Syria and Soor entered to their authority and their struggle to control the authorities regions of Syria, after that the Persian Occupation came ,which the Syrian cities sustained it against the Greek.

Soor fought Macedonian Occupation , but it dropped in 332 B.C by Alexander because of an intrigue to submit it, so the role of the Kingdome either politically or economically had finished forever.

[**] Damascus University, College of Arts and Humanities, Department of History.

المقدمة:

أدّت جملة التطورات والتبدلات التي حلت بالمنطقة في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد نتيجة دخول شعوب البحر وانتهاء دور أوجاريت إلى تغير المراكز التجارية والسياسية، فاتجهت الأنظار نحو الساحل الجنوبي لسورية في الألف الأول قبل الميلاد، ولاسيما صور التي اكتسبت أهمية خاصة في المجالين الاقتصادي والسياسي، وأصبحت مركزًا للتوسع الاقتصادي في حوض المتوسط الشرقي. وتمكنت من تأسيس إمبراطورية تجارية واسعة امتدت من البحر الأحمر في الشرق إلى شواطئ الأطلسي في الغرب، ووصلت صور إذ ذاك أوج قوتها، وأصبحت أكبر مركز للاستيراد والتصدير في البحر المتوسط كله.

وبرزت مملكة صور وانتعشت سياسيًا واقتصاديًا كأهم مركز تجاري على ساحل المتوسط طيلة الألف الأول قبل الميلاد، وبعد أن عانت من التبعية للنفوذ المصري تبدل الخطر وتغير اتجاهه، فقد داهمها في الألف الأول قبل الميلاد من الشرق الآشوريون الذين حلموا بالسيطرة على المنافذ التجارية على المتوسط، وبدأت معاناتها مع الملوك الآشوريين في محاولاتهم المتكررة للسيطرة على هذه المدينة الساحلية والاستفادة من ميزاتها التجارية، فقد بلغت التجارة الصورية فيها أقصى ذروتها، وبلغ التوسع أقصى مداه، وكانت الأساطيل الصورية تقصد النواحي البعيدة لتؤسس بها الوكالات التجارية والمستعمرات الدائمة.

وتأتي أهمية البحث في دراسة مملكة صور، وتتبع أخبارها خلال الألف الأول قبل الميلاد من خلال استقراء السجلات الآشورية ومعرفة أوضاعها حسب ما جاء على لسان ملوك آشور في حولياتهم، وإبراز دور هذه المملكة وأهميتها التجارية التي دفعت بملوك آشور إلى تكرار المحاولات للسيطرة عليها، والاستفادة من تجارتها خاصة، وتأتي الأهمية أيضًا من إبراز دورها في مقاومة الاحتلال الآشوري، فكانت صعبة المراس، ولم يستطع الآشوريون السيطرة عليها لأوقات طويلة؛ إذ كانت تثور، وتنزع عنها غطاء التبعية مما دفعهم إلى معاقبتها وسلبها أرضها وضمها إلى صيدا المملكة المجاورة بهدف إضعافها. ثم دخول المصريين إلى واجهة الصراع مع الآشوريين.

إن الهدف الأساسي لهذا البحث هو إعادة دراسة العلاقة بين صور والآشوريين بشكل أوسع وواضح، وليس بالشكل المختصر كما هو موجود في الدراسات والأبحاث القائمة حتى الآن التي تذكر صور فقط كمدينة سيطر عليها الآشوريون.

1- العلاقات زمن الدولة الآشورية الحديثة (911-609)ق.م:

أدرك ملوك الدولة الآشورية الوسطى أن الدولة الآشورية لا يمكن أن تتحول إلى إمبراطورية، إلا إذا سيطرت على منافذ بحرية على الساحل السوري، وعلى رأسها مملكة

صور التي كانت تأتي بالمواد الأولية ولاسيما الفضة من الساحل السوري، وقد كانت آشور بأمس الحاجة إلى هذه المواد[1].

وكانت صور قد أصبحت قوة اقتصادية مهمة في الألف الأول قبل الميلاد، وعاصمة التجارة على الساحل السوري، فاصطدمت بالأطماع الآشورية ومحاولاتها الهيمنة على سورية بدءًا من القرن التاسع[2]. فبدأوا بتوجيه الحملات العسكرية ضدها، ولأن صور كانت مملكة تجارية تحتاج للسلم لتأمين اتصالاتها وحماية قوافلها البرية؛ لذا لم تتوان عن تقديم الأموال للآشوريين مقابل ابتعادهم عن حدودها وعدم تدخلهم في شؤونها. تجنبًا للانتقام[3].

وبدأ تيجلات بليصير الأول (1114–1076)ق.م أولى المحاولات للسيطرة على الساحل، وسار على رأس جيش إلى جبل لبنان، وقطع خشب البقس، ووصل إلى أمورو، وصيدا، وجبيل، وأرواد[4]، لكن مملكة صور بقيت بعيدة عن مطامع الملك الآشوري حسب ما نستنتجه من كتاباته، ولا يعرف السبب، إذ يذكر أمورو وجبيل وصيدا وأرواد، ولا يذكر صور، وفي زمن تيجلات بليصير لم تكن صيدا تابعة لصور في ذلك الوقت، وهو الذي وأخذ معه أخشاب الأرز ليبني بها معابد لآلهته.

وعادت آشور بعد أكثر من قرنين على حملة تيجلات بليصير لتهدد أمن المدن الفينيقية، فقد توجه آشور ناصر بال الثاني(883–859)ق.م إلى الساحل السوري عام 877ق.م مرورًا بكركميش ونهر العاصي، واستلم الجزية من الدويلات على طريقه ومن المدن الساحلية جنوبًا حتى صور[5]، ويعدد في وثيقة مدن لبنان التي دفعت له الجزية في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد، ويذكر مدنًا إلى جانب صور وصيدون وجبيل، ومدنًا أخرى لم يعرف موقعها[6].

---

[1]- صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، تاريخ وآثار المدينة من الألف الثالث إلى أواخر الألف الأول ق.م، صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين، وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور 15–16 حزيران 1996، منتدى صور الثقافي، ط1،أيلول 1996، ص: 38.

[2]- آرنو، دانييل: أنقذوا صور، تعريب ع. ب. ص، اللجنة الوطنية لحماية صور الأثرية، دمشق، كانون الأول، 1985، ص: 17.

[3]- صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، تاريخ وآثار المدينة من الألف الثالث إلى أواخر الألف الأول ق.م، صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين، ص: 38.

[4]- Luckenbill. D. D: Ancient records of assyria and Babylonia, Vol (1), Historical records of assyria from the eariest times to Sargon, Chicago, Illinois, 1926, P: 97,98-302.

[5]- ساغز، هاري: عظمة بابل، ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، ط1، دار رسلان دمشق، 2008، ص: 116.

[6]- Luckenbill. D.D: op. cit, Vol(1), P: 149-448.

كذلك: الحوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه بحث في فلسفة تاريخ لبنان، ط2، دار النهار للنشر، د. ت، ص: 140.

ويعزو انتصاراته إلى الإله آشور؛ إذ يقول: "أعطاني آشور الإله العظيم الثقة وحشد قواته، وأنه قاتل وهزم عددًا كبيرًا من المحاربين من أجل المدن أوزو[7] وبيروت، وحصل على خرافهم وماشيتهم وأخذها معه"[8].

ويقول آشور ناصر بال في وصف حملته التي قام بها باتجاه الساحل السوري عام 876 ق.م: "في ذلك الوقت، كنت أسير على جانب جبل لبنان والبحر الكبير وأرض أمورو في البحر العظيم غسلت أسلحتي، وقدمت الأضاحي للآلهة، قدم لي ملوك ساحل البحر من أهل صور وصيدون وجبيل، وأمورو وأرواد التي تقع في وسط البحر الجزية من فضة وذهب نحاس ورصاص وسفن نحاس وملابس مصنوعة من الصوف ملونة بألوان زاهية وملابس من الكتان، وخشب القيقب وخشب البقس والعاج والدلفين (حصان البحر)، وقدموا التحية لي، ووصلت إلى جبل الأمانوس، وحصلت على خشب السرو والأرز"[9]. فقد فرض آشور ناصر بال في هذه الحملة الجزية على ملوك صور وصيدا وأرواد، ونستدل من النص السابق على أهمية صور من خلال تنوع المواد التي حصلت عليها آشور، وأهميتها الاقتصادية من خشب وملابس وأنسجة كتانية وصوفية زاهية الألوان، ويدل هذا أيضًا على تقدم الصناعة في صور كصناعة النسيج.

واعتمدت صور على السلام لتحقيق ازدهارها ولمتابعة نشاطاتها لكونها ميناء تجاريًا ويبدو أن إخضاع آشور لصور وللمدن الساحلية كان رمزيًا، فقد سافر الصيدونيون والصوريون كضيوف لدى الملك الآشوري لتقديم خبرتهم في أعمال البناء والتزيين، فقد سجل آشور ناصر بال ذلك في نقش يقول فيه: " عندما زيّنتُ قصر كلحو من الخارج كان هناك 47.074 عامل وامرأة استقدموا من جميع المناطق من أرضي، والمسؤولون البارزون مبعوثون من سوهي، ومن الحثيين وصور وصيدون"[10]؛ وفور وصول شلمنصر الثالث (858–824)ق.م إلى عرش آشور وجه عنايته لمقاومة حلف تشكل في سورية، وكانت حماة ودمشق على رأس هذا التحالف لمجابهة الخطر الآشوري[11]. ولم تشارك صور في الأعمال العسكرية لمعركة قرقر على نهر العاصي عام 853ق.م، بل قدمت الدعم المالي للمتحالفين في هذه المعركة، ولم يكن النصر حليفًا للآشوريين مع افتخارهم بالنصر[12].

---

[7]– اوزو هي صور القارية، وترد أحيانًا أوشو.

[8]– Luckenbill. D. D: op. cit, Vol(1), P: 149-448.

[9]– Ib.id, P: 166-167/479; Wbudge. W: king Annals of Assyria, London, 1902, P: 199.

[10]– Jidejian Nina, Tyre throdoh the ages, emir Maurice chehab, dar el– mashreq publishers, Beirut, 1969, P: 42.

[11]– عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، 1969، ص: 38.

[12]– Nina. J: Tyre, P: 43.

ولعلَّ الدوافع التجارية هي التي جعلت صور تتفادى الالتحام مع الجيش الآشوري، لكنها اضطرت إلى دفع الجزية، ففي سنة 839 عندما قام شلمنصر بحملته الأخيرة ويقول: "في السنة الخامسة والعشرين من ملكي عبرت الفرات للمرة الخامسة والعشرين، وزحفت على دمشق، وتلقيت الجزية من الصوريين والصيدونيين والجبيليين"[13].

وكان من نتيجة المعارك الآشورية في سورية أن أصبحت سلطة آشور كاملة على الطرق التجارية القادمة من آسيا الصغرى، وأصبح إنتاج الحديد الذي كان مقصورًا ومن أحد امتيازاتها خاضعًا للسيطرة الآشورية تمامًا، كما كانت صناعة الأخشاب في لبنان، وكما كانت مناجم الفضة في أمانوس، ونقل شلمنصر كثيرًا من الحرفيين السوريين إلى المدن الآشورية للعمل والاستفادة من خبرتهم، ويدل على ذلك العثور على كمية كبيرة من العاج المحفور في منطقة في كلحو، وثبت أن هذه المنحوتات العاجية كانت من صنع حرفيين سوريين، وثبت أيضًا أن المنحوتات التي أقامها شلمنصر في آشور نفسها متأثرة بالأساليب السورية؛ لأن فن تحصين المدن قد نشأ وتطور في المدن السورية التي أصبحت قادرة على مقاومة الحصار المتكرر عليها[14]. ومن المؤكد أن ملك صور بجماليون (820-774)ق.م دفع الجزية إلى الملك أدد نيراري الثالث(810-783) ق.م[15]. ويقول أدد نيراري الثالث: إنه أخضع خاتي وأمورو جميعها ومنها صور وصيدا، ووصل إلى البحر الكبير، وفرض عليهم الضريبة[16]. كما تمكن حيرام الثاني ملك صور من المحافظة على استقلال مدينته أمام الخطر المحدق به بعد وصول تيجلات بليصير الثالث (745-727)ق.م إلى عرش آشور وهجومه على أرواد واستيلائه عليها بعد معارك ضارية، وما كان أمام حيرام إلا إرسال الهدايا للملك الآشوري الموجود في أرواد، وكذلك عرف كيف يحافظ على ممتلكات صور في الخارج، ويستدل على ذلك من حاكم كيتيون القبرصية الذي يدعو نفسه بـ "خادم حيرام ملك الصيدونيين"[17].

ويذكر تيجلات بليصير الثالث ملك صور حيرام (أو حيروم وفقًا للاسم الآشوري؛ وهو حيرومّو) أنه أخذ الجزية منهم[18]، وفرض عام 734 ق.م غرامة على ملك صور

---

[13]- عرب، معين: صور حاضرة فينيقيا، ص: 39.

[14]- ساغز، هاري: عظمة بابل، ص: 119.

[15]- كلينغل، هورست: تاريخ سورية السياسي 3000-300 ق.م، ترجمة: سيف الدين دياب، ط1، دار المتنبي، دمشق، 1998، ص: 230.

[16]- Luckenbill. D: op. cit, Vol(1), P: 262-479.

[17]- عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 39.

[18]- Luckenbill. D: op. cit, Vol(1), P: 276-772.

مقدارها خمسون ومئة تالنت، أو وزنة من الذهب[19]، وهذا دليل يثبت أهمية هذه المدينة في ذلك العصر، ويقول في أحد نقوشه: "سافرت إلى جبل لبنان وتلقيت الهدايا من لبنان، وحصلت على الأرز والهدايا من جبيل وصيدا، وفرضت الجزية وضريبة من أخشاب الأرز"[20] وأخضع مدن الساحل الفينيقي وقسمها إلى ست مقاطعات عسكرية [21]. وكان قد فرض الضريبة على صور بهذه القيمة الكبيرة التي عدت بمثابة إجراءات للحفاظ على النفوذ الآشوري قويًا في سورية.

وبقي متّان بعيدًا عن الحلف الذي تشكل من الدويلات الفلسطينية والسورية ضد آشور بين عامي (738-734)ق.م، لكنه لم يستطع إبعاد الخطر الآشوري عن مدينته، فقد انصَّبت الحملات الآشورية على صور بوصفها المدينة التي تسيطر على المتوسط وتجارته. وانتهت محاولات تيجلات بليصير بسقوط دمشق في يده، وقُتل ملكها، وبقيت صور محتفظة باستقلالها، ولما حاول متان أن يمتنع عن دفع الجزية زحف جيش آشوري ضده فأذعن لهم[22].

وتظهر المراسلات الملكية الآشورية حدوث نشاط معاد للآشوريين في سورية في عهد تيجلات بليصير الثالث ردًا على الإجراءات الاقتصادية التي فرضتها آشور ضد الموانئ السورية، فقد أرسل أحد الموظفين الآشوريين رسالة إلى ملكه يصف فيها الأحوال في الموانئ التجارية في صور وصيدا نتيجة فرض السلطات الآشورية ضريبة على الأخشاب التي كانت تجلب من لبنان، فقوبل هذا الإجراء بتمرد المواطنين الغاضبين، وقتلوا جابي الضرائب الآشوري؛ لهذا سارع الحاكم العسكري الآشوري إلى الانتقام، والعمل بنشاط، فجلب إلى المدن الثائرة فرقًا من جيوش إيتوا الآشورية؛ وهم جيش قبلي خشن استعمل لاستلام الواجبات البوليسية بين السكان المدنيين المشاغبين، ويخبر كاتب القصة الملك أن وجود تلك القوات أوقع الذعر في قلوب السكان. وبعد هذه الانتفاضة أمرهم الحاكم الآشوري أن يستمروا في قطع الأشجار كما في السابق، ولكنه وضع حظرًا على تصدير الأخشاب إلى مصر والمدن الفلسطينية[23].

[19]- Ib.id, P: 288-803.

[20]- Ib. id, P: 274-275/769

[21]- مرعي، عيد؛ وعبد الله، فيصل: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ط4، جامعة دمشق، 2002، ص: 345-346.

[22]- عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 40.

[23]- ساغز، هاري: عظمة بابل، ص: 128.

وعُدت العمليات الآشورية العسكرية الممتدة جنوبًا حتى غزة بالإضافة إلى تعطيل التجارة المصرية بسبب الحظر الذي فرضته آشور على تصدير الأخشاب إلى مصر من لبنان تهديدًا لمصر وأمنها [24].

واضطربت الأوضاع في سورية نتيجة موت شاروكين الثاني(722–705) ق.م، ووصول سنحريب (704–681)ق.م إلى الحكم في آشور، فقد حاولت المدن والممالك التحرر من السيطرة الآشورية كعسقلان، وصيدا، وممالك أخرى متعددة، وكان لمصر الدور الأساسي في تحريضها.

وبدأت الاضطرابات بعصيان قبرص وثورتها على السيادة الصورية، وكانت آشور قد وضعت نصب عينيها السيطرة على قبرص التي تشرف على سورية، ومع أن الآشوريين لهم مصلحة كبيرة في السيطرة على الجزيرة، فقد كانت مصلحة الصوريين أكبر في المحافظة عليها؛ إذ كانت صور محاطة بجيران خضعوا كلهم للآشوريين واستسلموا لنفوذهم، وكانت سلامتها وأمنها يقضيان أن تبقى قوة بحرية ذات شأن، وخسارة قبرص كانت تعني ضربة قوية لهذه القوة، وكان إرجاع القبارصة إلى الطاعة السبب الذي حدا بالملك الآشوري للقيام بحملته ضد صور التي تروي الكتابات الآشورية خبرها على الشكل: "قدمت إلى بلاد خاتي، فأودى الخوف بلولي ملك صيدون الكبرى، وأخضعت بلاده، وتغلبت أسلحة آشور الجبارة على صيدون الكبرى وصيدون الصغرى وبيت زيتي وسريتا (الصرفند) ومحلبا (محيليب أو البرغلية) وأوزو (صور البرية) وأكديب (الزيب) وعكا، وعلى مراكز مؤونته وثكنات جنده، فخضعت لي، وجعلت توبعلو ملكًا عليها"، وتدعو كتابات سنحريب لولي (إبلولاي) ملك صيدون ومنطقته الممتدة من صيدون إلى عكا صيدونية، وينصب الأشوريون تو بعلو (إيتو بعل) حاكمًا على ممتلكات صور التي نزعت عنها، أما لولي فيرى أن سلامته معرضة للخطر في صور فيفرُّ منها إلى قبرص التي بقيت تابعة لصور ليترقب منها تطور الأحداث في مملكته[25].

وانتصر سنحريب على الحلف في معركة يحتمل أنها جرت سنة 701 ق.م وبعد فرار لولي ملك صيدا إلى قبرص، وينصب حكامًا جددًا على صيدا وعسقلان، وتلقَّى جزية من هذه المدن، ومن أرواد وجبيل وغيرها[26].

24– ساغز، هاري: عظمة بابل، ص: 130.

25– عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 41–42.

26– Jidjian: op. cit , P: 46.

ويصف سنحريب هذه الحملة في حولياته: "سرت في حملتي الثالثة ضد حاتي، ولولي ملك صيدون، وفر كثيرون منهم نتيجة الرعب وهلك، وروعت أسلحة سيدي آشور المدن القوية: صيدا، وبيت زيتي، وزاريبتي وأوشو (البر الرئيسي لصور)، وانحنت لي"[27]. ويبدو أن لولي مات في قبرص، فتسلم العرش من بعده أيتو بعل، ويقول سنحريب: "تغلبت على لولي ملك صيدا الذي هرب إلى قبرص (وسط البحر) ومات، وحلَّ محله أيتوبعل على العرش، وفرضت عليه تحية ملوكي"[28].

وأخضع سنحريب القبارصة الذين تمردوا على سلطته، فأصبحت صيدا معادية لآشور وحين أصبح بعل ملكًا على صور ساعد الآشوريين، ولكن ما لبثت صور أن ثارت فيما بين 676 و671 غير أن آشور أخمدت الثورة، وأجبرت صور على عقد معاهدة معها، وكانت معاهدة مجحفة إذ حتمت أن تكون الشؤون الآشورية في صور من اختصاص الحاكم الآشوري، وكذلك أضعفت سلطة الملك بأن ألزمته بتعيين مجلس للشيوخ يساعده، وحددت أسماء الموانئ السورية التي يمكن لسفن صور الوصول إليها[29]، وسلخت عن صور صيدون، وعكا، وصور البرية، ومدنًا كثيرة، وقفت إلى جانب الملك الآشوري[30].

ولأن صور كانت العقبة الأساسية في وجه سنحريب، فقد قام بحملة ضد الصوريين الذين لم يخضعوا لسلطته، وأمده فيها الفينيقيون بستين سفينة حربية وثمانمئة بحار، وهاجم الصوريون هذه القوة باثنتي عشرة سفينة أغرقت سفن العدو، وأسرت خمسمئة من رجاله، فانسحب ملك الآشوريين بعد هذه الهزيمة عائدًا إلى بلاده تاركًا حامية على تمديدات المياه؛ لتمنع الصوريين من الوصول للماء، وقد صبر الصوريون على هذا الحال خمس سنين متواصلة كانوا يشربون فيها مياه الخزانات[31].

وعاقب سنحريب صور بأن جعل صيدا عاصمة فينيقيا، وهذا من شأنه أن يعلي شأن صيدا، ويجرد صور من قوتها ومن ثم سحقها[32]. وهذا يفسر تغييبه لاسم صور في حديثه عن صور؛ إذ يدعو أبلولاي بملك صيدون (خلف إبلولاي أبوه متان على عرش صور، ودام حكمه ست وثلاثون عامًا)، مع أنه يظهر في جميع المصادر كملك لصور،

27- Ib. id, P: 46.

28- Luckenbill. D. D: op. cit, Vol(1), P: 142-309.

29- عصفور، محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، ص: 44.

30- عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 40.

31- عرب، معن: المرجع نفسه، ص: 40.

32- Waliage. B. Fleming: The history of Tyre, Colombia University press, 1915, Vol(X), P: 35.

وربما كان ملك صيدا وصور معًا؛ لأن صيدا ضمت إلى صور زمن ملكها حيرام ومتان، ويفخر سنحريب بغلبته على ملك الصيدونيين، ولا يأتي على ذكر صور؛ لأنها بقيت صامدة أمامه[33]. وربما هذه محاولة منه للتقليل من شأن صور وملكها، الذي عرف كيف يقهر آشور عند أبوابها، ولم يستطع السيطرة عليها.

ومع ذلك فقد استفاد سنحريب من خبرة الصوريين في صناعة السفن والملاحة عندما قرر مهاجمة عيلام، فأمر ببناء أسطول من سفن عالية الظهر في نينوى من قبل بناة سفن سوريين، وزود الأسطول بطاقم من أسرى حرب صور وصيدا[34].

استغلَّ الفينيقيون فرصة وصول أسرحدون لحكم آشور، وانشغاله بتوليه العرش، فشكل أبو ملكوت ملك صيدا حلفًا مع المدن المجاورة ضد النفوذ الآشوري، فما كان من أسر حدون عام 677 إلا أن يوجه الجيوش ضد الساحل السوري، فأرسل حملتين إلى سورية الأولى ضد مغتصب عرش دمشق، والثانية ضد صيدا التي اعتقد ملكها عبدي ميلكوتي أن باستطاعته التخلص من السيطرة الآشورية، فثار على أسر حدون، ولم يستطع ملك صيدا مواجهته وفر من المعركة، ويقول أسر حدون: "فر أبي ملكوت من مواجهة جيشي مثل الأسماك وسط البحر"[35].

وهزم ملك صيدا، ودمرت مدينته وأقيمت مكانها مدينة جديدة سماها "كار آشور – أخا– إدينا"؛ أي كار أسر حدون؛ أي ميناء أسر حدون، وهاجر سكان صيدا إلى بلاد آشور، وأعطيت المناطق التي كانت تتبع صيدا إلى بعل ملك صور كمكافأة له على موقفه الموالي للآشوريين[36].

وقدم بعل ملك صور وخليفة أبلولاي الطاعة لأسر حدون الذي منحه قسمًا من المنطقة الصيدونية، وعقد معه معاهدة نصَّ القسم الأول منها على أن يؤلف أسر حدون مع أعيان صور مجلسًا استشاريًا ذا صلاحيات واسعة يدير شؤون البلاد إلى جانب الملك، ويعالج القسم الثاني منها مشاكل الملاحة والسفن الصورية التي تضطر أن ترسو في منطقة آشورية، ويحدد القسم الأخير منها المناطق التي يسمح أسر حدون لبعل ببسط نفوذه عليها، وتمتد منطقة النفوذ الصوري في الجنوب إلى عكا ودور، وفي الشمال إلى مدن الساحل الفينيقي والسوري بأكمله بما فيها جبيل وإلى جبل لبنان مع مدنه جميعًا[37].

---

[33] - عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 42.

[34] - عيد، وعبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ص: 361-364.

[35] - Waliage. B. Fleming. O. P. CIT, P: 36.

[36] - مرعي، عيد؛ وعبد الله، فيصل: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ص: 371.

[37] - عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 43.

وانتهزت صور فرصة الصراع بين مصر وآشور، واتحدت مع طهرقا معلنة الثورة على آشور، فبدأت علاقاتها مع آشور منذ 674 ق.م تتأزم، وكان للملك المصري طهرقا الدور الأساسي في خلق المشكلات ضدّ الآشوريين في سورية؛ إذ تمكن من تأليب صور عليهم، ومع المعاهدات التي أبرمها الآشوريون مع صور، فقد تمسكت باستقلالها، وانضمت عام 672 ق.م إلى طهرقا ملك مصر للحفاظ على استقلالها، وتمكنت من التخلص من السيادة الآشورية لفترة قصيرة، وحافظ بعل ملك صور على علاقات جيدة مع مصر كشريك في التجارة [38]، فعندما سمع ملك صور رسالة طهرقا التي كانت تدعوه لمناوءة آشور لم يجد أسر حدون بدًا من التوجه إلى الساحل السوري على رأس جيش، فوجه ضرباته للقوتين معًا، فقد فرض حصارًا طويلًا على صور، لكنها قاومته، وتحملت الجوع والعطش، وانسحب الملك الآشوري دون أن يحقق مراده في دخول المدينة، واتجه إلى مصر، ويقول: "أثناء حملتي فرضت الحصار ضد بعل ملك صور الذي اتفق مع ملك مصر طهرقا ضدي وتحدوني"[39]. واستمرَّ حصار صور خمسة أعوام، وما أن ترك أسر حدون مصر عائدًا إلى بلاده حتى رجع طهرقا إلى الدلتا بجيش آخر جمعه من مصر العليا ومن السودان، واحتل منف ثانية، واستأنف علاقاته مع ملك صور[40].

ولم تستطع مملكة آشور السيطرة على صور، واكتفى ملوكها بإجبار صور على دفع الجزية، ومراقبة تجارتها، ويظهر ذلك بوضوح من الاتفاقية التي وقعها الملك أسر حدون مع بعلو ملك صور في القرن السابع ق.م[41].

ومع وصول آشور بانيبال (669–655)ق.م إلى الحكم في آشور ثارت صور عليه مرتين، واضطر ملك صور لدفع الجزية في المرة الأولى، لكنه اضطر لفرض الحصار عليها في المرة الثانية عام 668 ق.م، ولما رفض بعلي ملك صور الخضوع لأوامره وتنفيذ رغباته، ويصف آشوربانيبال هذه الحملة في سجلاته فيقول: "في حملتي الثالثة سرت ضد أبي بعلي ملك صور الذي يسكن البحر، عندما لم يطع أوامري الملكية، ولم يسمع كلامي، فاستوليت على طرق البر والبحر، وجعلت حياته بائسة، فجعلتهم يقدمون لي الطاعة، وقدم لي ابنته وبنات أخوته من نسله، وأحضر لي ابنه يهاو ملكي، وأحضر

38– كلينغل، هورست: ص: 254.

39– Waliage. B. Fleming: op. cit, P: 37-38.

40– سعد الله، محمد علي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسورية القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001، ص: 150.

41– صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي،، ص: 38–39

ابنته وبنات أخوته كمحظيات مع مهرهن، وأرجعت ابنه فقدم الطاعة لي، وتكرمت بإرجاع ابنه إليه"[42]. ويتضح من هذا النص أن صور خضعت لآشور بانيبال، لكنه لم يستطع الدخول معها في عداء؛ لذلك عفا عن ابن ملك صور وأعاده له.

ولم يهدم آشور بانيبال صور كما هدم سنحريب صيدا[43]؛ لذلك في نهاية حكم آشوربانيبال ثارت عليه أوزو (صور البرية) بالاشتراك مع عكا فقمع هذه الثورة بشدة[44].

2- صور والعلاقات المصرية_البابلية الحديثة (626-539)ق.م:

عد الكلدانيون أنفسهم ورثة الآشوريين في السيطرة على سورية، وانتقل مركز القوة إلى بابل، وأرادت مصر أن تفرض سيادتها أيضًا على سورية بعد أن تخلصت من السيطرة الآشورية، وكانت المدن الفينيقية أميل للاعتراف بسلطان مصر منها إلى الاعتراف بالسيادة البابلية، وسرعان ما فرض البابليون السيادة في "أرض الغرب" بعد معركة كركميش 604ق.م التي جرت بين المصريين والبابليين في السنة الحادية والعشرين من حكم نابوبو لاصر، ولم تفلح محاولة ملك مصر أبريس في استرداد البلاد، فوقع ثقل هذه المحاولة على عاتق صور وصيدا بسبب انحيازهما إلى جانب مصر، وهزمهما نبوخذ نصر 604-561ق.م[45].

وبلغت قوة ضغطهم على صور عندما حاصر نبوخذ نصر الثاني المدينة ثلاث عشرة سنة[46]، ودخل في صراع مع نيخاو الثاني ملك مصر ومع خليفته بسماتيك الثاني (595-589)ق.م، ويبدو أن النفوذ المصري كان أقوى من النفوذ البابلي، ولاسيما أنه كانت صور على علاقة جيدة مع مصر شريكتها بالتجارة، وكان يحكم صور إيتو بعل الثالث[47]. ولكن يبدو أن الحصار الذي فرضه نبوخذ نصر على صور أضعفها وأجبرها على الخضوع، وتمكن من إقصاء إتو بعل الثاني، وجعل مكانه واحدًا من أنصاره؛ وهو بعل الثاني (574-564)ق.م[48].

42- Luckenbill. D. D: Historical records of Assyria from Sargon to the end, vol(II), Chicago, 1927, P: 296-779.

43- عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيئ الإسكندر، مطبعة المصري الإسكندرية، 1968، ص: 279-280.

44- عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، ص: 44.

45- كونتنو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، 2001، ص: 80.

46- صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، ص: 39.

47- كلينغل، هورست: ص: 258.

48- عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر، ص: 279-280.

3- نهاية صور 332 ق.م:

بدأت قوة صور تضعف اقتصاديًا وسياسيًا، وبعد أن سقطت بابل 539 ق.م على يد الفرس تحولت تبعية الساحل من مصر إلى الفرس؛ لطمع هؤلاء في منفذ على البحر، وقسم الفرس البلاد إلى أقاليم، وأطلقوا على كل منها اسم سترابية، وجعلت فينيقية وسورية وقبرص جميعًا سترابية واحدة تحمل رقم خمسة، وتحالف الفينيقيون مع الفرس ضد اليونانيين في الحروب التي نشبت بين الفرس واليونان، فانهزم فيها الشرق على يد الغرب، واستسلمت للإسكندر عدة مدن ساحلية، وحاول دخول صور متذرعًا بتقديم الذبائح للإله ملقارت، وعندما رفض الصوريون طلبه اقتحم المدينة، وحاصرها مدة ستة أشهر[49]. واعتقد أهل صور أنهم بمأمن من الخطر بفضل موقع جزيرتهم وتفوق بحريتهم، لكنه لجأ إلى الحيلة فقد عزم على ردم مجرى البحر بين جزيرة صور وصور القارية، فدق أعمدة في الماء ثم ردم الأعماق الواقعة بين الأعمدة، وعند منتصف الجسر تضاعفت المصاعب في وجهه ولاسيما أن أهل صور استخدموا سفنهم ليوقعوا بعمال الجسر أضرارًا بالغة، وسيروا إلى الجسر سفنًا مشتعلة أحرقت الأبراج الخشبية وآلات الحصار التي جهزها المقدونيون[50]. إلا أن صور سقطت بيد الإسكندر ودخلها بنفسه على رأس جيشه سنة 332ق.م[51]، وأنهى الإسكندر باحتلاله صور، وزال دورها ووجودها كمملكة مستقلة.

4- الخاتمة:

بقيت مملكة صور بعيدة عن مطامع الآشوريين حتى قيام الدولة الآشورية الحديثة، واستقلت عن المصريين في نهاية الألف الثانية، إلا أنه ومع قيام الدولة الآشورية الحديثة اتجهت أنظار الآشوريين للسيطرة على سورية وعلى منافذها البحرية، فأولوا مملكة صور أهمية خاصة كونها ميناءً بحريًا ومركزًا تجاريًا مهمًا.

وقد اعتمدت صور على السلام لتحقيق ازدهارها وأمنها التجاري، وقدمت الضرائب مقابل أن تعيش بسلام، وتستمر تجارتها آمنة، فسعت دائمًا لدفع الضرائب تفاديًا للاشتباك العسكري مع جيوش الآشورية، وقد اضطرت إلى دفع ضرائب باهظة، فقد افتخر الآشوريون بحصولهم على الذهب والنحاس والملابس الصوفية الزاهية الألوان والكتان وغيرها من بضائع مهمة، وعانت من الحصار الذي فرضه الآشوريون ولم تستسلم.

49- صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، ص: 39.
50- كونتنو، ج: الحضارة الفينيقية، ص: 81- 82- 88.
51- صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، ص: 39.

ودخل الآشوريون في صراع مع الدولة المصرية بهدف السيطرة على الساحل السوري، ووقفت صور إلى جانب مصر وملكها طهرقا، فقد فضلت التبعية الاسمية لمصر على الاحتلال الآشوري، لكن الغلبة كانت للأشوريين على المصريين.

وعندما سقطت بابل بيد الفرس ساند الفينيقيون سكان الساحل السوري الفرس في حربهم ضد اليونانيين، وصمدت صور في وجه الحصار اليوناني الذي فرضه الإسكندر المقدوني، ولولا الحيلة التي استخدمها لما سقطت صور، وحين سقطت صور بيد الإسكندر 332ق.م، انتهى دورها السياسي والتجاري.

المراجع العربية:

1. الحوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه بحث في فلسفة تاريخ لبنان، ط2، دار النهار للنشر، د. ت، ص: 140.
2. سعد الله، محمد علي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسورية القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001.
3. صادر، إيلان: صور في العصرين البرونزي والحديدي، تاريخ وآثار المدينة من الألف الثالث إلى أواخر الألف الأول ق.م، صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين، وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور 15–16 حزيران 1996، ط1، منتدى صور الثقافي، أيلول، 1996.
4. عرب، معن: صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، 1969.
5. عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيئ الإسكندر، مطبعة المصري الإسكندرية، 1968.
6. مرعي، عيد؛ وعبد الله، فيصل: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ط4، جامعة دمشق، 2002.

المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

1. آرنو، دانييل: أنقذوا صور، تعريب: ع. ب. ص، اللجنة الوطنية لحماية صور الأثرية، دمشق، كانون الأول، 1985.
2. ساغز، هاري: عظمة بابل، ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، ط1، دار رسلان دمشق، 2008.
3. كلينغل، هورست: تاريخ سورية السياسي (3000–300)ق.م، ترجمة: سيف الدين دياب، ط1، دار المتنبي، دمشق، 1998.
4. كونتنو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، 2001.

المراجع الأجنبية:

1- JidejianNina, Tyrethrodoh: The ages, emir Maurice chehab,dar el – mashreq publishers , Beirut, 1969.

2- Luckenbill, Daniel. David: Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1. Historical records of Assyria from the earliest times to Sargon,Chicago, 1926.

3- Luckenbill, Daniel, David: Historical records of Assyria from Sargon to the end, II, Chicago, 1927.

4- Waliage B. Fleming: The history of Tyre, X,Colombia University press, 1915.

5- Wbudge. w. king: Annals of Assyria ,London, 1902.